الوفاء — الجبهة الإعلامية لنصرة الدولة الإسلامية

تذكير

الأنصار والمهاجرين

بفضل الإنفاق في سبيل إعزاز الدين



لفضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد أيوب القرشي

حفظه الله

تذكيرُ الأنصار والمهاجرين

بفضلِ الإنفاقِ في سبيلِ إعزازِ الدِّين

لفضيلة الشيخ
أبي عبد اللّه محمد أيوب القُرَشي
حفظه اللّه

1436 هـ | 2015 م



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله الذي أغنى وأقنى، ووعد من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى بأن ييسره لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذَّب بالحسنى بأن ييسره للعسرى، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿**وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الحديد: 10]، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، الشافع يوم العرض، القائل: «**مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى وَلَا آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَأَعْطِ مُمْسِكًا مَالًا تَلَفًا**»(1).

أما بعد: فإنَّ حياةَ المسلمين على أرض الدولة الإسلامية لا تشابه الحياة على سائر الأرض، وذلك من كلِّ الوجوه، فالأحكام التي تعلو دار الدولة الإسلامية هي أحكام مستمدَّةٌ من الكتاب والسنة، وأما الأحكام التي تعلو الديار الأخرى فهي أحكامٌ بشَرية، وقوانين وضعية.

ويعلم الله، كم فرح الموحدون لـمَّا أُعلنت الخلافة الإسلامية في الدولة الإسلامية على الوجه الذي كنا -بالأمس القريب- نقرؤه فقط في القرآن والسنة والسيرة النبوية، حتى أضحى واقعًا مُعاشًا بحذافيره على أرض الخلافة المباركة، فسجد من سجد شاكرًا لله تعالى على أن لم يمت حتى اكتحلت عيناه برؤية جند الله محاطة بخليفة المسلمين، في حين أنكر من أنكر من أغاظه نصرُ الموحدين، وعمي من أعمى الله بصيرته ممن تزيَّن بلباس العلم في الظاهر، وهو أجهل من حمار أهله.

نعم، لقد كنا نقرأ -فقط- عن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس؛ حتى رأيناها على أرض الدولة الإسلامية.

(1) من حديث أبي الدرداء، أخرجه أحمد (5/ 197) برقم 21769، وابن أبي شيبة (1/ 48) برقم 36.

وكنا نقرأ –فقط– عن بيت مال المسلمين، حتى رأيناه عيانًا بأرض الدولة الإسلامية.

وكنا نقرأ –فقط– عن السبايا –ملك اليمين– حتى رأيناهنَّ على أرض الدولة الإسلامية.

وكنا نقرأ –فقط– عن القصاص: الدَّمُ بالدَّمِ، والهدم بالهدم، والنَّار بالنَّار، والنَّفس بالنَّفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسِّنُّ بالسِّنِّ، حتى رأينا ذلك على أرض الدولة الإسلامية.

كنا نقرأ –فقط– عن هدم القباب والأصنام والقبور التي تعبد من دون الله تعالى، حتى رأينا ذلك على أرض الدولة الإسلامية.

وكنا نقرأ –فقط– عن صلب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف لمن حارب اللهَ ورسولَه وسعى في الأرض فسادًا، حتى رأينا ذلك على أرض الدولة الإسلامية.

وكل هذا الفضل والعزِّ والتَّمكين؛ إنما هو من عند الله، وبالله جلَّ وعلا، لا بحولٍ منا ولا قوة، فوجبَ شكرُ هذه النعمة، وذلك بدوام الطاعة والعبودية له سبحانه وحده، مع إخلاص العمل له وحده، والحذر من العصيان أو الطُّغيان أو النِّسيان، فإنَّ ذلك موجبٌ للهزيمة والوهن والخذلان.

ولـمَّا كان الإنسان –بفطرته التي فطره الله عليها– مُعرَّضًا للنِّسيان، والذُّنوب، كان لزامًا على أهل الإيمان أن يتناصحوا بينهم، بين الفينة والأخرى، وأن يُذكِّر الأخُ أخاه بما أوجبه الله علينا لحفظ النعم.

فقد ورد في الحديث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ذَنْبًا قَدِ اعْتَادَهُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، أَوْ ذَنْبًا لَيْسَ بِتارِكِهِ حَتَّى يَمُوتَ، أَوْ تَقُومَ عَلَيْهِ السَّاعَةُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُذْنِبًا مُفَتَّنًا خَطَّاءً نَسَّاءً، فَإِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ**»[2].

(2) أخرجه عبد بن حميد (ص: 225) برقم 674، والطبراني المعجم الأوسط (6/ 89)، صححه الألباني في السلسلة (5/ 346).

فمِن خُلُقِ المؤمنِ أنه إذا ذُكِّر بالله وآياته ذَكر، لا يأنف من الذكرى ولا يضجر، وإذا أذنب أتبع الذنبَ بالحسنات، وأكثر من الاستغفار والطاعات، وإذا أخطأ اعترف بالخطأ وأقلع، ولا يعارض ربَّه فيما شرع. لعلمه أنَّ كل بني آدام خطَّاءٌ، وخير الخطَّائين التوَّابون.

ثم إنَّ فتنة النساء والأولاد والأموال تكاد تفتن كلَّ مؤمن، إلا مَن عصمه الله تعالى فآثر الآخرةَ على الدنيا، والآجلةَ على العاجلة، والباقيةَ على الفانية، وفي هذا يقول تبارك وتعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران: 14].

قال عمر: لما نزل: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾: "قلت: الآن يا رَبِّ حين زيَّنتها لنا! فنزلت: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ..**﴾ [آل عمران: 15]، الآية"[3].

وقد أخبرنا النبي ﷺ عن فتنة النساء والأموال في غير ما حديث، منها ما جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ**»[4].

وفيهما أيضًا أنه ﷺ قال: «**أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ** »[5].

فعلى المؤمن أن يحذر من الدنيا ومفاتنها، وكما قال أبو العتاهية:

---

(3) جامع البيان للإمام الطبري (6/ 244).

(4) صحيح البخاري/ كتاب النكاح (5/ 1959) برقم 4808، صحيح مسلم/ كتاب الذكر والدعاء (4/ 2098) برقم 2741.

(5) صحيح البخاري/ كتاب الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (8/ 90) حديث رقم 6061، صحيح مسلم/ كتاب الزهد والرقائق (4/ 2273) حديث رقم 2961.

رضيت بذي الدّنيا ككلّ مكاثر ملحّ على الدّنيا وكلّ مفاخر
ألم ترها تسقيه حتى إذا صبا فرت حلقه منها بشفرة جازر
ولا تعدل الدّنيا جناح بعوضة لدى الله أو معشار نغبة طائر
فلم يرض بالدنيا ثوابا لمؤمن ولم يرض بالدنيا عقابا لكافر

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**». وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «**لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**»(6).

وعن كعب بن عياض قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**»(7).

وليس هذا طلبًا للفقر والرضا به، بل المال وسيلة طيّبة لمن تصرّف فيه التصرُّف الشرعي، وكما قال ﷺ لعمرو بن العاص: «**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**»(8).

(6) صحيح مسلم/ كتاب الذكر والدعاء (4/ 2098) حديث رقم 2742.
(7) رواه الترمذي/ كتاب الزهد (4/ 569) برقم 2336، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2/ 139).
(8) رواه أحمد (29/ 299) برقم 17763.

القصد من هذه المقدمة

والقصد من هذه المقدمة: أنَّه لابدَّ من فتنٍ تُعرض على قلب المؤمن ليمحِّصَ اللهُ إيمانَه، ويضاعف له الأجر والثواب، وليَميز الخبيثَ من الطيِّبِ، والصَّادقَ من الكاذب.

بل ابتلى الله عباده فيما بينهم لينظر كيف يعملون، من يصبر ممن ييأس، ومن يثبت ممن يكفر، كما في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: 20].

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "فالرجل فتنة للمرأة، والمرأة فتنة للرجل، والغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، والفاجر فتنة للبر، والبر فتنة للفاجر، والكافر فتنة للمؤمن، والمؤمن فتنة للكافر كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: 53]، وقال ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]، فجعل كل ما يصيب الإنسان من شر أو خير فتنة، يعني أنه محنة يمتحن بها، فإن أصيب بخير امتحن به شكره، وإن أصيب بشر امتحن به صبره.

وفتنةُ السرَّاء أشدُّ من فتنة الضرَّاء، وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: "بلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر". وقال بعضهم: فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر، ولا يصبر على فتنة السراء إلا صديق.

ولما ابتلي الإمام أحمد بفتنة الضراء صبر ولم يجزع، وقال: "كانت زيادة في إيماني"، فلما ابتلي بفتنة السراء جزع وتمنى الموت صباحًا ومساءً، وخشي أن يكون نقصًا في دينه"[9].

قال مقيِّدُه –عفا الله عنه–: انظروا –يا رعاكم الله يا أهل الجهاد– كيف أنَّ فتنة الضرَّاء تكون أهون من فتنة السراء، وفتنة الفقر قد تكون أهون من فتنة الغنى! ومن هنا كانت: فتنة المال أشدُّ على هذه الأمة من فتنة الفقر والحاجة؛ وذلك لأنَّ المال جامع لحصول المنال، ومانع عن كمال المآل.

(9) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: 122-123).

وأنتم يا من هاجرتم إلى أرض الخلافة -دولة الإسلام- وتركتم دياركم، ما فعلتم ذلك إلا لله تعالى ولرسوله ﷺ، ولا أخالكم هاجرتم وفررتم من دياركم من أجل دنيا تصيبونها، أو نساء تنكحونهن!

فقد علمتم أنَّ «**الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[(10)]، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ.

وإن عين الحاقد الحسود، وعين الخصم اللدود، ينظر إلى تصرفاتكم، ويراقب أعمالكم، ويتابع أخباركم، هل هي مطابقة لشعار التوحيد الذي رفعتموه، وهل ستثبتون على كل ما قلتموه، بكونكم ما رفعتم السلاح إلى لإعلاء كلمة الله تعالى، ودحض الشرك والطغيان، أم تلك شعارات ليس من ورائها إلا ملء الجيوب بالأموال، والتلذُّذ بالسبايا، والتوسُّع في الأرض؟

إنَّ أعداء الدين -أيها الأحباب المهاجرون- لن يعذروكم إذا رأوا منكم تصرُّفًا بشَريًّا، لأنَّهم -بعدُ- لم يفهموا معنى: دولة الإسلام، فهم يحسبون أنَّ دولة الإسلام معناها أنَّ المجتمع الذي يعيش في ظلِّها مجتمعٌ ملائكيٌّ معصومٌ من الذنوب! ولم يعلم هؤلاء الجهلة أن في المجتمع النبوي: قُطعت يد السارق، ورُجم الزاني، وجُلد القاذف، وعُزِّر الخنثى، وتخاصم بعض الصحابة فيما بينهم، بل وكان المنافقون يصلون خلف النبي ﷺ!

(10) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب مرفوعًا، أخرجه البخاري أول حديث في صحيحه ومواضع أخرى، ومسلم/ كتاب الإمارة (3/ 1515) برقم 1907.

الصحابة بشرٌ يصيبون ويخطؤون

ثم الصحابة –الذين هم مَن هم!– ومع ذلك منهم من غلبته نفسُه فمالت به إلى متاع الدنيا ونسيان الآخرة، حتى عاتبهم ربُّهم بقوله: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 152].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "ما كنت أرى أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد: ﴿**مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ**﴾"(11).

قال مقيِّدُه –عفا الله عنه–: فإذا حصل هذا لبعض أصحاب رسول الله ﷺ، أفلا يحصل الآن من بعض من هاجر إلى أرض الخلافة، وجاهد؟!

الجواب: بلى، قد يحصل، وقد تميل نفس المقيمين في الدولة الإسلامية إلى الهوى والشهوة، وربما إلى الظُّلم فيما بينهم، ولكن كل هذا لا يعني أنهم فاسقون يجب التحذير منهم، وإنما يجب مناصحتهم بالحسنى، وتذكيرهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وتذكيرهم بالخوف من إبطال هجرتهم وجهادهم، وهم لا يشعرون.

فقد روى الإمام عبد الرزاق ﷺ بسنده عن معمر والثوري، عن أبي إسحاق، عن امرأته، أنها دخلت على عائشة ﷺ في نسوة فسألتها امرأة فقالت: "يا أم المؤمنين، كانت لي جارية، فبعتها من زيد بن أرقم بثمان مائة إلى أجل، ثم اشتريتها منه بست مائة، فنقدته الستمائة، وكتبت عليه ثمان مائة"، فقالت عائشة: "بئس –والله– ما اشتريت، وبئس –والله– ما اشترى، أخبري زيد بن أرقم: أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب"، فقالت المرأة لعائشة: أرأيت إن أخذت رأس مالي ورددت عليه الفضل؟ قالت: "﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ**

---

(11) جامع البيان (7/ 295).

فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 275] الآية، أو قالت: **﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾** [البقرة: 279] الآية"[12].

وهكذا نرى عائشة ﵂ تُنكر وتذكِّر زيد بن أرقم ﵁ مما قد يكون سببًا في إبطال جهاده مع رسول الله ﷺ، إلا أن يتوب.

والأمر نفسه نقوله لإخواننا وأحبابنا -في هذه الرسالة- ممن منَّ اللهُ عليهم بالجهاد، أو الهجرة والإقامة في أرض الخلافة: إياكم أن تُبطِلوا جهادكم وهجرتكم، أو تنقصوا ثواب جهادكم وهجرتكم بالظلم أو الانشغال بحطام الدنيا عن الآخرة، أو بالانكباب على شهوات النفس، بدل الاجتهاد في طاعة الله تعالى وبذل الخير: من إطعام الجائع، وكسوة العاري، وإيثار الغير على النفس، وإدخال السرور على قلوب المؤمنين.

ففي الحديث: «**أفضل الْأَعْمَال أَن تدخل على أَخِيك الْمُؤمن سُرُورًا، أَوْ تَقْضِيَ عنهُ دَيْناً، أَوْ تُطْعِمَهُ خُبْزاً**»[13].

ومفهوم المخالفة في هذا الحديث، أنَّ من شرِّ الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن حزنًا، أو لا تقضي عنه دينَه وأنت قادر على ذلك، أو تمنعه خبزًا وعندك الفائض! فيحرم الإضرار بالمسلم كيفما كان هذا الضرر، سواء حسيًّا أو معنويًّا، وقد ورد فيه نص صحيح: «**لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ**»[14].

فمثل هذه الأخلاق تتنافى مع كمال الإيمان، فكيف إن صدرت ممن هاجر وجاهد في سبيل الله، وممن اختار الإقامة في أرض الخلافة؟!

---

(12) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (8/ 184).
(13) أخرجه ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج"، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (3/ 481).
(14) أخرجه أحمد (1/ 313) برقم 2867.

الأخوّةُ في الدِّين تقتضي عدمَ الإضرار بالأخ المسلم

إن الأُخُوَّة في الدين تقتضي: حسن الخلق فيما بيننا، والتذلُّل فيما بيننا، والتسامح فيما بيننا، وخفض الجناح لبعضنا، والعفو، وقبول الأعذار، والغض عن أخطاء بعضنا بعضًا، وستر عيوبنا، وإعانة المحتاج منا، وإدخال السرور على بعضنا، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، فإن ذلك مما يغيظ الكفار ويزيدهم حنقًا وخنقًا مما نحن فيه من الوُدِّ والرَّحمة، كأنَّنا جسدٌ واحدٌ، وبنيانٌ مرصوصٌ.

وقد وردت في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ تدعو إلى جمع الكلمة بين الإخوة المؤمنين، والتحابِّ فيما بينهم، وعدم ظلم بعضهم لبعض.

ومن ذلك على سبيل المثال، قوله ﷺ: «**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[(15)].

وقال ﷺ قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**». قال أبو موسى: "وشبك أصابعه"[(16)].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يُتَلَقَّى الرُّكْبَانُ لِبَيْعٍ وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَلاَ تُصَرُّوا الإِبِلَ وَالْغَنَمَ فَمَنِ ابْتَاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلُبَهَا فَإِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ**»[(17)].

---

(15) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير، أخرجه البخاري في كتاب الأدب (5/ 2238) برقم 5665، ومسلم في كتاب البر والصلة (4/ 1999) برقم 2586، واللفظ للبخاري.

(16) متفق عليه من حديث أبي موسى، أخرجه البخاري في كتاب المظالم (2/ 863) برقم 2314، ومسلم (4/ 1999) برقم 2585.

(17) صحيح مسلم/كتاب البيوع (3/ 1154) حديث رقم 1515.

قال الإمام النووي رحمه الله: "وفي رواية: «**لاَ يَسِمِ الْمُسْلِمُ عَلَى سَوْمِ الْمُسْلِمِ**»[18]، أما البيع على بيع أخيه فمثاله أن يقول لمن اشترى شيئا في مدة الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه أو أجود منه بثمنه ونحو ذلك، وهذا حرام، ويحرم أيضًا الشراء على شراء أخيه وهو أن يقول للبائع -في مدة الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أشتريه منك بأكثر من هذا الثمن، ونحو هذا، وأما السوم على سوم أخيه فهو أن يكون قد اتفق مالك السلعة والراغب فيها على البيع ولم يعقداه فيقول الآخر للبائع: أنا أشتريه، وهذا حرام بعد استقرار الثمن، وأما السوم في السلعة التي تباع فيمن يزيد فليس بحرام"[19].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[20].

فليحذر المؤمنُ على العموم -والمهاجرُ إلى أرض الخلافة على الخصوص- من الحسد والنَّجْش، والتباغض والتدابر، والبيع على بيع أخيه؛ فإن ذلك مما يورث الفشل والنزاع والضعف وتسليط العدو، قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: 46]، فطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، مع عدم التنازع فيما بينكم؛ سيحقق لكم النصر والتمكين وجمع الشمل، وتوحيد الكلمة، وإلا فالفشل والخذلان وذهاب القوة.

وفي هذا يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله، وامتثال ما أرشدهم إليه؛ ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة،

(18) عند البيهقي في السنن الكبرى (5/ 345) برقم 11214.
(19) شرح النووي على مسلم (10/ 158).
(20) صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة (4/ 1986) برقم 2564.

مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط، وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم، إنه كريم وهاب"[21].

(21) تفسير ابن كثير (4/ 72).

الإنفاقُ على المجاهدين من أفضلِ القُرُبات

وكذلك قد ينسى بعض المقيمين في أرض الخلافة -من المهاجرين والأنصار- ما عليهم تجاه إخوانهم المجاهدين من الإنفاق عليهم، وتقديرهم، وتفقُّد أحوالهم، وخلفِهم في أهليهم لسد حاجياتهم بكل ما يستطيعون من مال ونفقة، فقد جاءت آيات بينات تحث على ذلك وتشير إليه، منها قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 273].

فالجار والمجرور "**لِلْفُقَرَاءِ**" متعلق بمحذوف تقديره: النفقة مطلوبة للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، والحذف هنا أبلغ من الذكر، حيث يشعر بأنَّ أمر هؤلاء الفقراء في غنىً عن أن يحرّض عليه، فحقّهم على المحسنين واجب لا يحتاج إلى بيان.

وأما قوله تعالى: ﴿**أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ أي حبسوا عن الكسب، بسبب اشتغالهم بما هو أهم، وهو الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، فعليك -أيها المهاجر والمقيم في أرض الخلافة- بتقديم المساعدة له، وتزويده بما يحتاج من طعام وكسوة ومال قبل أن يسألك؛ فتعطيه من مال الله وأنت فرح مسرور منبسط ومنشرح الصدر، لا كما يفعل المنافقون إن هم أنفقوا، أنفقوا وهم كارهون، كما قال تعالى في حقهم: ﴿**قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ [التوبة: 53، 54].

يقول سيد قطب رحمه الله في قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: "لقد كان هذا الوصف الموحي ينطبق على جماعة من المهاجرين، تركوا وراءهم أموالهم وأهليهم وأقاموا في المدينة ووقفوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، وحراسة رسول الله ﷺ كأهل الصفة الذين كانوا بالمسجد حرسًا لبيوت الرسول ﷺ لا يخلص إليها من دونهم عدو.

وأحصروا في الجهاد لا يستطيعون ضربًا في الأرض للتجارة والكسب، وهم مع هذا لا يسألون الناس شيئًا، متجملون يحسبهم من يجهل حالهم أغنياء لتعففهم عن إظهار الحاجة ولا يفطن إلى حقيقة حالهم إلا ذوو الفراسة.

ولكن النص عام، ينطبق على سواهم في جميع الأزمان، ينطبق على الكرام المعوزين، الذين تكتنفهم ظروف تمنعهم من الكسب قهرًا، وتمسك بهم كرامتهم أن يسألوا العون، إنهم يتجملون كي لا تظهر حاجتهم يحسبهم الجاهل بما وراء الظواهر أغنياء في تعففهم، ولكن ذا الحس المرهف والبصيرة المفتوحة يدرك ما وراء التجمل، فالمشاعر النفسية تبدو على سيماهم وهم يدارونها في حياء.

إنها صورة عميقة الإيحاء تلك التي يرسمها النص القصير لذلك النموذج الكريم، وهي صورة كاملة ترتسم على استحياء! وكل جملة تكاد تكون لمسة ريشة، ترسم الملامح والسمات، وتشخص المشاعر والانفعالات.

وما يكاد الإنسان يتم قراءتها حتى تبدو له تلك الوجوه وتلك الشخصيات كأنما يراها، وتلك طريقة القرآن في رسم النماذج الإنسانية، حتى لتكاد تخطر نابضة حية! هؤلاء الفقراء الكرام الذين يكتمون الحاجة كأنما يغطون العورة، لن يكون إعطاؤهم إلا سرًّا وفي تلطف لا يخدش إباءهم ولا يجرح كرامتهم، ومن ثم كان التعقيب موحيًا بإخفاء الصدقة وإسرارها، مطمئنًا لأصحابها على علم الله بها وجزائه عليها: ﴿**وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ الله وحده الذي يعلم السر، ولا يضيع عنده الخير"[22].

قال مقيِّدُه –عفا الله عنه–: فاغتنموا الأجر والثواب –يا أصحاب الأموال– في العناية بأهل الثغور، أهل الجهاد، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه أراد أن يغزو فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ إِنَّ مِنْ إِخْوَانِكُمْ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ وَلاَ عَشِيرَةٌ فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ أَوِ الثَّلاَثَةَ فَمَا**

(22) في ظلال القرآن (1/ 315 316).

لأَحَدِنَا مِنْ ظَهْرِ جَمَلٍ إلاَّ عُقْبَةً كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ» قَالَ: فَضَمَمْتُ إِلَيَّ اثْنَيْنِ، أَوْ ثَلاَثَةً مَا لِي إِلاَّ عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ"[23]. هكذا فليكن عونُكم فيما بينكم، وعنايتكم بإخوانكم.

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**[24]»[25].

وفيه أيضًا: عن زيد بن خالد الجهني، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا** »[26].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ**»[27].

واعلموا -يا رعاكم الله- أن الصدقة في سبيل الله -على أهل الجهاد وفي الجهاد- ليست كسائر الصدقات، تمامًا مثل الطاعات، فإن الطاعة في سبيل الله -أرض المعركة مع العدو- ليست كالطاعة في غيرها من الأراضي، لذا قال ﷺ: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»[28].

---

(23) السنن الكبرى للبيهقي (9/ 290)، وهو عند أبي داود (2/ 325) برقم 2536، وأحمد (3/ 358) برقم 14906، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1/ 619).

(24) أي: فيها خطام وهو قريب من الزمام.

(25) صحيح مسلم/ كتاب الإمارة/ باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها (6/ 41) حديث رقم 5005.

(26) صحيح مسلم (6/ 41) حديث رقم 5011.

(27) رواه أحمد وأصحاب السنن إلا أبا داود.

(28) متفق عليه، صحيح البخاري/ كتاب الجهاد والسير (3/ 1044) برقم 2685، وصحيح مسلم/ كتاب الصيام (2/ 808) برقم 1153.

قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: "إذا أطلق ذكر سبيل الله كان المشار به إلى الجهاد"[29].

ومن هنا بوَّب البخاريُّ في صحيحه، (باب: فضل الصدقة في سبيل الله) ثم ساق حديثًا بسنده عن أبي سلمة أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الجَنَّةِ كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ أَيْ فُلُ**[30] **هَلُمَّ**»، قال أبو بكر: يا رسولَ الله، ذاك الذي لا تَوىَ[31] عليه، فقال النبي ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[32].

---

(29) كشف المشكل من حديث الصحيحين (3/ 153).

(30) أي: فلان، رُخِّم فحذف آخره -من باب الترخيم-.

(31) أي: لا هلاك عليه ولا بأس.

(32) صحيح البخاري/ كتاب الجهاد والسير (3/ 1045) برقم 2686، وصحيح مسلم/ كتاب الزكاة/ من جمع الصدقة وأعمال البر (2/ 711) برقم 1027.

الإنفاقُ بالمحبوب على النّفس دليلٌ على الزُّهد والصِّدق

ومِن كمالِ الإيمان وصدقِه إيثارُ ما عند الله تعالى على المحبوب لدى النفس، بل دليلُ صدق الإيمان وحبِّ الله تعالى هو: الإنفاق مما تحبه النفس وترغب فيه.

وفي هذا يقول ﷻ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: 92]. فقد روى الإمام مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول: "كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، قال: فقال رسول الله: «**بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ**» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه"[(33)].

يقول الإمام القرطبي ؒ في تفسيره: "ففي هذه الآية دليل على استعمال ظاهر الخطاب وعمومه، فإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يفهموا من فحوى الخطاب حين نزلت الآية غير ذلك، ألا ترى أبا طلحة حين سمع ﴿**تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا**﴾ الآية، لم يحتج أن يقف حتى يرد البيان الذي يريد الله أن ينفق منه عباده بآية أخرى أو سُنة مبينة لذلك فإنهم يحبون أشياء كثيرة.

وكذلك فعل زيد ابن حارثة، عمد مما يحب إلى فرس يقال له (سبل) وقال: "اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلي من فرسي هذه، فجاء بها إلى النبي ﷺ فقال: "هذا في سبيل الله"، فقال لأسامة بن زيد «**اقبضه**» فكأن زيدا وجد من ذلك في نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد قبلها منك**»، ذكره أسد بن موسى.

---

(33) رواه موطأ مالك (5/ 1449)، صحيح البخاري (2/ 120)، صحيح مسلم (2/ 693)، مسند أحمد (19/ 427).

وأعتق ابن عمر نافعا مولاه، وكان أعطاه فيه عبد الله بن جعفر ألف دينار، قالت صفية بنت أبي عبيد: أظنه تأول قول الله ﷻ: ﴿**تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾.

وروى شبل عن أبي نجيح عن مجاهد قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتح مدائن كسرى، فقال سعد بن أبي وقاص: فدعا بها عمر فأعجبته، فقال: إن الله ﷻ يقول: ﴿**تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ فأعتقها عمر رضي الله عنه"[34].

قال مقيِّدُه –عفا الله عنه–: انظر –رحمك الله– أيها المهاجر وأيها المقيم في دار الخلافة إلى هذا الفعل من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إن الجارية التي اشتراها من السبي لم تكن ذميمة أو قبيحة الوجه، بل إنها أعجبته، فأعتقها إيثارًا لما عند الله تعالى! في حين هناك البعض في أرض الدولة الإسلامية ممن أنعم الله عليهم بالمال يريدون أن يحتكروا السبايا لأنفسهم، فيأتون البائع ويسألونه أن يزيد في الثمن، فيضرون إخوانهم المسلمين، بهذا التصرف المشين! فيا سبحان الله، أهذا هو إدخال السرور على إخوانكم المسلمين؟ فإن هذا الفعل المشين هو عين النجش الذي نهى عنه النبي ﷺ فقال: «**لا تناجشوا**».

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: "قال مالك: "والنجش، أن تعطيه بسلعته أكثر من ثمنها، وليس في نفسك اشتراؤها فيقتدي بك غيرك".

قال أبو عمر: تفسير العلماء لمعنى النجش المنهي عنه متقارب المعنى وإن اختلفت ألفاظهم فيه بل المعنى فيه سواء عندهم.

قال الشافعي –بعد أن ذكر الحديث في النهي عن النجش– قال: "والنجش خديعة، وليس من أخلاق أهل الدين. وهو أن يحضر السلعة تباع فيعطي بها الشيء، وهو لا يريد شراءها ليقتدي به السوام، فيعطوا بها أكثر مما كانوا يعطون لو لم يعلموا سومه، وهو عاص لله ﷻ بارتكابه ما نهى النبي ﷺ عنه"[35].

(34) انتهى من تفسير القرطبي (4/ 132-133).
(35) انتهى من الاستذكار (6/ 527).

فليس العيب في شراء السبي، ولكن العيب في رفع السعر على الضعيف حتى يحتكر الغني على كل رغباته، وإلا فقد ثبت عن أبي سعيد الخدري ﵁ أنه بينما هو جالس عند النبي ﷺ قال: يا رسول الله إنا نصيب سبيًا فنحب الأثمان، فكيف ترى في العزل؟ فقال: «**أَوَإِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا ذَلِكُمْ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ نَسَمَةٌ كَتَبَ اللَّهُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَّا هِيَ خَارِجَةٌ**»[36].

قال الإمام أبو محمد العيني ﵀: "مطابقته للترجمة من حيث إنه ﷺ لم يمنع عن بيع السبي لما قالوا: إنا نصيب السبي فنحب الأثمان، والأثمان لا تجيء إلا بالبيع، والسبي فيه الرقيق وغيره"[37].

وروي عن الثوري أنه بلغه أن أم ولد الربيع بن خيثم قالت: "كان إذا جاءه السائل يقول لي: يا فلانة أعطي السائل سكرا، فإن الربيع يحب السكر. قال سفيان: يتأول قوله ﷻ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾".

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدالًا من سكر ويتصدق بها، فقيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟ فقال: "لأن السكر أحب إليَّ فأردت أن أنفق مما أحب".

وقال الحسن: "إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركوا ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون"[38].

قال مقيِّدُه –عفا الله عنه–: فأين نحن من هذا الخلق الكريم، والإيثار العزيز، مِن بذل المحبوب في سبيل الله تعالى؟ فإن العامة من الناس في الدولة الإسلامية يلاحظون تصرفاتِكم، ويراقبون تحركاتِكم، فإن رأوا منكم مثل هذه التصرفات فيما له علاقة بالاستئثار بالسبايا، مع الإعراض عن النفقة على المجاهدين؛ دبَّ إليهم الشك، وتسبَّبتم في تفريق الكلمة، وتشتيت الشمل، عياذًا بالله!

---

(36) صحيح البخاري/ كتاب البيوع باب بيع الرقيق (3/ 83) برقم 2116.
(37) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (12/ 47).
(38) تفسير القرطبي (4/ 133).

وهذا ما يصبو إليه الشيطان ويطمعه فيكم، وهو: التحريش فيما بينكم، بعدما أخزيتم الشرك والطاغوت. وكما قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[39].

فقوله: "**وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**" أي ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها، وهذا من معجزات النبوة، إذ كلُّ هذا قد وقع في جزيرة العرب.

(39) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (4/ 2166) برقم 2812.

نداءٌ إلى الأحبة وذوي القلوب الحيّة

فالإنفاقَ الإنفاقَ يا معشرَ المهاجرين والمقيمين في دولة العز -دولة الخلافة- قبل أن يحول الموت بينكم وبينه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون: 9 - 11]، وقال عزَّ من قائل: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [البقرة: 254].

أنفِقوا ولا تخشوا الفقرَ، فإنَّ الذي تنفقون في سبيله هو الرَّزاق ذو القوة المتين، رزقَكم وسألكم أن تنفقوا من رزقه، ووعدكم بأن يخلفه لكم، واللهُ لا يخلف الميعاد، فقال: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: 39]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 272]، وقال سبحانه: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: 60]، وقال جلَّ وعلا: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة: 245]، وقال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ [الحديد: 11].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ دخل على بلال وعنده صبرة من تمر فقال: «**ما هذا يا بلال؟**» قال: شيء ادخرته لغد، فقال: «**أَمَا تَخْشَ أَنْ يُجْعَلَ لَكَ بُخَارٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، أَنْفِقْ بِلالُ، وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالًا**»[40].

---

(40) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (1/ 442) برقم 1018، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 116) برقم 1345، وينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (6/ 347).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»[41].

وعن أنس ﷺ أن أعرابيًّا سأل النبيَّ ﷺ فأمر له بغنم -ذكر الراوي كثرتها- فأتى الأعرابيُّ قومه وقال: "يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر"[42].

فلا تغرنَّكم الحياةُ الدنيا عن ما أعدَّه الله للمُنفقين في سبيله، ولا تكن الأموالُ ولا الأولادُ أكبرَ همِّكم، فإنَّ الموتَ يلحقنا، والقبر يضمُّنا، والقيامة تجمعنا.

ألا كـل حـي هالـك وابـن هالـك ... وذو نسـب في الهـالكين عريـق
فقـل لغريـب الـدار إنـك راحـل ... إلى منـزل نأي المحـل سـحيق
ومـا تعـدم الـدنيا الدنيـة أهلهـا ... شـواظ حريـق أو دخـان حريـق
تجـرع فيهـا هالكـا فقـد هالـك ... وتشـجي فريقـا مـنهم بفريـق
فـلا تحسـب الـدنيا إذا مـا سـكنتها ... قـرارا فمـا دنيـاك غـير طريـق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له ... عـن عـدو في ثيـاب صـديق
عليـك بـدار لا يـزال ظلالهـا ... ولا يتـأذى أهلهـا بمضـيق
فمـا يبلـغ الراضـي رضـاه ببلغـة ... ولا ينفـع الصـادي صـداه بريـق[43]

فاللهم ربَّنا اغفر لنا ذنوبَنا، وأذهب غيظَ قلوبنا، وأجِرنا من مُضِلَّات الفتن ما أبقيتنا، ووحِّد صفوفَنا، واجمع شملَنا، وقوِّ شوكتَنا، وسدِّد رميَنا، وألِّف بين قلوبنا، ولا تجعل الدُّنيا أكبرَ همِّنا، ولا مبلغَ علمِنا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحمَ الراحمين.

---

(41) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة (4/ 1996) برقم 2578.
(42) أخرجه ابن حبان (10/ 354) برقم 4502، وينظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (6/ 471).
(43) الأبيات لأبي نواس، ينظر المدهش لأبي الفرج ابن الجوزي (ص: 198).

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اقتفى أثرَهم إلى يوم الدِّين، ونحن معهم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهمَّ وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وكان الفراغ منه:
يوم الثلاثاء الموافق لـ: 20 خلت من شهر رمضان من عام 1436 هـ

فهرس